

اجتهادات لا يُغَيِّرُ الله ما بقوم؟

الاحتلال غير قانوني. إسرائيل تمزق القانون الدولي، وتضم الأراضي المحتلة، وتنتهك الحقوق المدنية، وتفرض فصلاً عنصرياً. هذه مقاطع قليلة مُختارة من كثيرٍ يتضمنه التقرير الجديد المعروض الآن على لجنة الأمم المتحدة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني حقوقه. تقريرٌ غير مسبوقٍ في وضوحه وأمانته وشموله قَدِّمه المقرر الخاص لحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة مايكل لينك. تقريرٌ يدل على ضميرٍ يقظ في عالمٍ نامت فيه أكثر الضمائر، أو ألقى بها على الأسيرة في حالة موت إكلينيكي.

لم يكتف لينك بالوصف والشرح. أوصى محكمة لاهاي بأن تصدر أمراً يلزم جيش الاحتلال بالانسحاب الفوري وغير المشروط، وسحب المستوطنين، وإلغاء كل القوانين التي تنطوي على تمييز. ليس هذا التقرير وحده

الذى يدل على ازديادٍ مستمر في فهم حقيقة قضية فلسطين وإدراك بشاعة الاحتلال الإسرائيلي، ومساندة أصحاب الحق. في العالم الآن أصواتٌ متزايدة تعبر عن هذا الموقف.

والمهم أن غير قليلٍ منها يرتفع في الغرب الأوروبي والأمريكي، الذي يتحمل مسئوليةً تاريخيةً عن الاحتلال الصهيوني وتوحشه، خاصةً بريطانيا والولايات المتحدة، إلى جانب دول أخرى قامت بأدوارٍ أقل في مساندة الصهيونية، وبينها الاتحاد السوفيتي السابق الذي رفع شعار مواجهة الاستعمار، ولكنه خذل المقاومة الفلسطينية مراتٍ بعضها في لحظاتٍ بالغة الحرج كان آخرها عام 1982، عندما أدار ظهره لنداءات قادتها، وتركها تهزم وتُرحم على مغادرة لبنان بعد صمودٍ استمر نحو ثلاثة أشهر رغم الاختلال الكلى في ميزان القوى.

غير أنه لا جدوى من التطور الملحوظ في المواقف الدولية تجاه قضية فلسطين، مادامت الاختلالات تسرى في أوصال الفصائل المتصارعة، والمرض يضرب فيما بقى من الجسد الفلسطيني، والصراعات الداخلية

محتدمة, والمستفيدون من الوضع الراهن, وهو الأسوأ
فى تاريخ مقاومة الاحتلال, مهيمنين على المشهد,
والمصالح الشخصية الصغيرة طاردة للمصلحة والوطنية.

ولا سبيل إلى وضع حدٍ لهذا الوضع البائس، بدون
إصلاح ما فسد فى غزة ورام الله، وفى العلاقة بينهما،
وترميم ما كُسر على مدى عقود. إن الله لا يُغَيِّرُ ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم